الموقف الثالث

القواعد المنهجية للواقعية الإسلامية

لم يعالج الدكتور يحيى هويدى موضوع الواقعية الإسلامية فى مؤلف خاص، بل حرص فى مختلف مؤلفاته على الإشارة الواضحة إلى أهمية فهم أبعاد الفلسفة الواقعية ودورها فى إحداث الوعى التنويرى الذى تسعى الفلسفة إليه، ولذلك نراه مهتماً بتحديد مفهوم الواقعية الفلسفية على العموم والواقعية الإسلامية على الخصوص، وذلك وفق قواعد منهجية ثابتة تحقق ترابط علاقات الفكر، وتصحح سوء الفهم وتحقق الوعى الفلسفى فى جوانبه السياسية والثقافية والاجتماعية.

فالواقعية فى معناها العام عنده هى محاولة إدراك الوعى الشعبى لأعماق الواقع بحثاً عن حلول مناسبة قائمة على الملاحظة والمقارنة والتجريب، وهى بهذا المعنى تعنى تمام الفهم لبادئ الرأى من العوام أو الجمهور، ليس لما هو قائم أو كائن بالفعل، بل لما هو متغير ومتطور، وتعنى أيضاً الدعوة إلى التحرر من الجمود فى الفكر وكسر قيود التقليد والإنطلاق نحو تغيير الأوضاع، ولذا كانت الواقعية الإسلامية عنده هى الأداة الفاعلة فى التمييز بين الواقع الزائف والواقع الحقيقى.

والواقعية عند الدكتور هويدى لا بد أن تقوم على العلم من أجل الاهتمام بالواقع الحقيقى لا الواقع السطحى الزائف، وفى هذا الإطار يكون الإنسان الواقعى هو الذى يؤمن بأن العالم الخارجى فى وضع مستقل عن الذات، وفى نفس الوقت يؤمن بأن العالم المادى هو مصدر كافة أفكاره وآرائه. وعندئذ يكون الواقع الحقيقى هو المحك والمعيار الذى يختبر به جميع آرائه ومعتقداته الصحيح منها والزائف، ولذلك لا بد أن تعتمد الواقعية على العلم وتتطور معه ولا تُسلّم إلا بما يمكن إثباته علمياً وبالدليل.

ويرى هويدى أن الواقعية الفلسفية كنظر وعمل وعلم بحقيقة الإنسان والعالم لا تختلف كثيراً عن الواقعية الإسلامية التى جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. فالواقعية الإسلامية عنده هى المجال العملى لفهم

وتطبيق الفلسفة القرآنية، على اعتبار أن الفلسفة الحقة هى التى تستمد أصولها من القرآن والسنة لا من الفلسفة اليونانية التى اعتمدت أساساً على العقل والعقل وحده، وهنا يقرر هويدى أن العقل ليس له كل هذه القيمة التى أضفاها عليه العقليون، وأن قوانين ومقولات العقل لا تستطيع أن تلم بكل أطراف الوجود لأن الوجود أو الطبيعة تفوق العقل وتتعداه، ولعل ذلك وراء اهتمام الفلسفة الواقعية بالفلسفة الطبيعية.[١٥]

وفى هذا الأطار جاءت دعوة هويدى المتكررة إلى ضرورة إيجاد معالجة فلسفية ميتافيزيقية لآيات القرآن الكريم الداعية إلى الفهم والتفكر والعمل حتى نتمكن من فهم أسرار الدين وحقيقة معانيه، وأن تلك المعالجة تحتاج إلى جهود العديد من الباحثين فى الفكر الفلسفى الإسلامى حتى يقدموا لنا آراء أكثر عمقاً من هذه النظرات الجزئية السريعة التى قدمها من قبل فلاسفة الإسلام أو علماء الكلام حول تأويل بعض آيات القرآن والتى لم تبلغ منه بعد -أى القرآن- سوى قشرته الخارجية.

ولا شك أن الواقعية الإسلامية التى ينتهجها الدكتور هويدى ذات طابع ميتافيزيقى معقول ومقبول فى نفس الوقت لأنها تدور حول فكرة محورية هى التوحيد، على اعتبار أن كافة القضايا الفلسفية والكلامية التى أثيرت حول الإيمان ومرتكب الكبيرة والرؤية، والقضاء والقدر والفاعلية والحرية الإنسانية، وما أثير حول مسائل القدم والحدوث والخلق والرؤية والكلام والصفات والزمان، وعلاقة الكون بالإله والإنسان، كلها تهدف إلى تأكيد حقيقة التوحيد وتنزيه الإله عن كافة مظاهر الشرك والتعدد والتشبيه والتجسيم.

ومن الملاحظ أيضا أن هويدى لم يحدد ولم يجمع الركائز المنهجية للواقعية الإسلامية فى مؤلف واحد بعينه، ولذا كان علينا أن نتلمس هذه القواعد والركائز فى العديد من المؤلفات والمقالات بل والترجمات التى قدمها طوال مشواره الفكرى، وهذه الركائز والقواعد هى:

---

١٥. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة ص٧٨.

١ ـ الإيمان

الواقعية الإسلامية عند هويدى هى واقعية إيمانية،ويمكن التعبير عنها بالفلسفة القرآنية، لأنها تقوم على الإيمان بالله الواحد المنزه فى صورته المتعالية، التى تختلف عن صورة الإله الباطن فى المكان، والذى استقر فى لحظة مختارة من الزمان، وفى هذه الواقعية المؤمنة كما يقول هويدى: سيظل الباب مفتوحا أمام الإنسان لكى يطلب المدد والعون من الله، وسيظل الله يستجيب دائما إلى نداء داعيه، كما فى قوله تعالى أدعونى أستجب لكم، إنه النداء المرتبط باللحظة الخاطفة، ولذلك فمن الأمور المعروفة فى الإسلام أن يتوجه المسلم إلى ربه قائلا : اللهم ألهمنى سبل الرشاد، والإلهام هنا تعبير عن هذا الظهور الخاطف لله فى أفعال الإنسان، وهو مختلف تماما عن حلول الله فى الفعل الإنسانى.[١٦]

وهذه الإيمانية عند هويدى لا تعنى فقط الإيمان العقائدى، بل تعنى الإيمان بأهمية العمل والحكمة معاً، إنها فى الإيمان بالحق والعدل والإلتزام بهما، إنها فى الإيمان برسالة الفلسفة ودورها فى بناء الإنسان وتوجيه فكره نحو الصواب واليقين الموجود بالواقع، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الإيمانية تعنى كذلك أن الفلسفة والدين يلتقيان فى أنهما يقدمان لنا تفسيراً شاملاً لحقائق الكون والإنسان، كما يقدمان الدعوة الصريحة والمباشرة إلى التأمل العقلى فى الكون والإنسان، مع ملاحظة أن الواقعية الإسلامية كفكر وتدين ليست هى التأمل العقلى المجرد للفكر أو النصوص بل هى الفاعلية والموقف، أى الموقف الواضح من التراث الإسلامى وليس مجرد معرفته أو الاطلاع عليه.

ولبيان ذلك يضع الدكتور هويدى هذا التساؤل: كيف تظل فلسفتنا الإسلامية تائهة وسط باقى الفلسفات القديمة والمعاصرة بحجة أنها أخذت من اليونانية والغنوصية، مع أن الموقف الفاعل يدفعنا إلى معرفة كيف نستخرج من القرآن ما فيه من فلسفة وفكر ورأى واضح فى كافة المشكلات التى أثيرت حول القدم والحدوث، والزمان والإنسان وعلاقة الإنسان بالكون والإله.

---

١٦. يحيى هويدى: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص ٢٠٤.

وفى هذا الإطار جاءت دعوة هويدى إلى ضرورة الأستفادة من تطبيق النسق الدينى فى المجتمع على اعتبار أن الإيمان هو التطبيق العملى للإعتقاد، وأنه الحل الأمثل لمشكلة العلاقة بين الفرد والمجتمع وكذلك الخضوع والاستسلام لإله واحد فقط، لأن هذا الخضوع والاستسلام للواحد هو الضمان الوحيد لعدم خضوع الإنسان لأية قوى أخرى غير الله أو لأى قوة قاهرة مستبدة.[١٧]

ولتأكيد ركيزة الإيمان فى النفس كان التساؤل المستمر الذى يطرحه هويدى دائما عن دور الروح الدينية والأخلاقية فى تحقيق البعث الفكرى المأمول، وتأكيده الدائم على أن الروح الدينية والأخلاقية القائمة على الإيمان الصادق، وليس الإنتاج وأدواته وتحديد ملكيته وأشكاله هى التى تمثل القاعدة الخرسانية أو البناء التحتى الذى يقوم عليه أى مجتمع ثابت الأركان.[١٨]

ولا شك أن هذا التساؤل يشير إلى ماهية الفلسفة الواقعية عند الدكتور هويدى بوصفها الموقف الفلسفى المحدد والطموح، وأن الواقعية هى السعى إلى واقع جديد، فى مقابل المثالى بوصفه المحافظ الذى يرضى بالواقع وبما هو عليه بالفعل، كما يشير أيضاً إلى أن الفلسفة فى حقيقتها تغيير وفعل، وفكر وعمل، تأمل وأمل، أى موقف فاعل من أجل تحقيق ما ينبغى أن يكون. كما يشير أيضاً إلى أن أهم ما تمتاز به الأمانة التى حملها الله للإنسان وأخذها الإنسان على عاتقه أن يعمق هذا الواقع فى جميع الاتجاهات ليفهم حقيقة الكون الذى يحيط به وأن عملية تعميق الحياة أو الواقع تعنى البحث عن الأصول والمبادئ الكلية العامة التى ترتكز عليها تلك الحياة، وهذا ليس شيئاً آخر إلا الفلسفة.

ومعنى ذلك أن الواقعية الإسلامية التى يسميها البعض بالواقعية الإيمانية لا تقوم على التدين وحده أو الإلتزام بأحكام الشرع التزاماً ظاهرياً فقط، بل تعنى عمل العقل فى فهم النص والحكم الشرعى قبل القيام به، ولذا فهى كما تقوم على العلم فهى تقوم على العقل بوصفه القاعدة المنهجية اللازمة لكل فكر وفعل، وبوصفه الكل الذى يشمل سائر الركائز المنهجية

---

١٧. مصطفى النشار: رواد التجديد فى الفلسفة المصرية المعاصرة دار قباء القاهرة ٢٠٠٢ ص ٢٧٨.

١٨. محمد مجدى الجزيرى: الهموم الحضارية عند الدكتور هويدى. مجلة أوراق فلسفية ٢٠٠١ ص ١٠٣-١٠٤.

كالتحليل والتأمل والنقد والتأويل وسائر القواعد المنهجية التى استلهمها الدكتور هويدى لتدعيم منهجيته القائمة على الواقعية الإسلامية.

وهنا نلاحظ أن الواقعية الإسلامية عنده لم تعتمد على العقل المطلق بل وضعت له حدوداً يجب ألا يتخطاها، وأنها اتفقت مع الواقعية الفلسفية فى توجيه اللوم إلى من يثقون فى قدرات العقل اللامحدودة، وبالتالى فهى دعوة إلى أن يخفف العقل من ادعاءاته ويعترف بحقيقة قدراته وحدوده، وأن لا يحتكر العقل هذه السلطات التى خولها لنفسه، خاصة وأن العقل كثيراً ما يحطئ التقدير، أو يتوقف عن النشاط فى كثير من الأوقات، ومع ذلك فإن وجود الأشياء أو الظواهر لا يتأثر بذلك، كما أن وجود الأشياء ليس رهناً بمعرفتها رغم وجود الصلة بين الشئ موضوع المعرفة وبين الذات العارفة، ولكن هذه الصلة لا تتعدى حدود المعرفة إلى الوجود، أى أن الشئ لا يعتمد على الذات فى وجوده.

٢- التوازن

يرى هويدى أن سمة التوازن والوسطية من أهم الركائز المنهجية التى تميز الواقعية الإسلامية وكذلك سائر الفلسفات الواقعية وتجعلها أكثر فاعلية من المثالية بكافة أشكالها، وكذلك الفلسفات الوضعية والوجودية بكافة اتجاهاتها، فالواقعية الفلسفية لم تلغ الذات لحساب الأشياء، بل هى قد اعترفت بفاعلية الذات ونشاطها، ولم تنكر الدور الذى تقوم به فى معرفة العالم وأنها أرادت أن تقوم بعملية توزيع للمسئولية خاصة مسئولية معرفة الإنسان للعالم، فتعطى جزءاً للذات وفاعليتها وجزءاً آخر للطبيعة وفاعليتها، وأنه عن طريق هذا التفاعل الدائم بين الذات والموضوع، أى أن هذه الفاعلية المزدوجة هى الفاعلية الآتية من الذات وكذلك الفاعلية الآتية من الطبيعة فتتم بذلك معرفة الإنسان للعالم. وهذا معنى القول بأن الواقعية الفلسفية فى صميمها قد قامت لتقاوم الأثرة التى اتسمت بها المثالية حين أرجعت كل شئ وكل مسئولية إلى الذات العاقلة.

فالتوازن إذن عند هويدى يمكن أن يتحقق فى الواقعية القائمة على العلم بمعناه العام والدقيق فى نفس الوقت، وهذا العلم ليس العلم التجريبى، وحده وليس العلم الدينى وحده، وهنا فقط يكون التوازن ضرورة لتتحقق الواقعية الإسلامية وذلك من خلال التوسط بين الذاتية والموضوعية من جهة

أو بين المادية والروحية من جهة ثانية، وذلك لأنها واقعية لا تفصل تماماً بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى وما هو إلهى، ومعنى ذلك أن التوازن فى الفكر الواقعى الذى يتبناه هويدى يمكن أن يتحقق فى الحفاظ على ما فى تجربة الماضى والحاضر، ويعين الفيلسوف على الجمع بينهما، ليخرج لنا فلسفة ذات رؤية خاصة ترفض كل زائف، وتؤكد على كل صادق، وتهتم بتاريخ الفكر الفلسفى العام باعتباره تاريخا للإنجاز والتقدم.[١٩]

ويصف الدكتور هويدى علة التقاء الواقعية الفلسفية مع الواقعية الإسلامية وهى القدرة على الجمع بين الذاتية والموضوعية وبين المادية والروحية، والتى تلعب سمة التوسط الدور الأكبر فى إمكان تصور العلاقة الوجودية بين الإنسان والعالم وبين الإنسان والله فيقول: فى ضوء هذا الفهم للواقعية الفلسفية تظهر السمة المحورية للواقعية الإسلامية وهى التوسط، لأنها لا تنكر الذات ولا تنكر الطبيعة فى نفس الوقت فالوجود الطبيعى لا ينفصل عن الوجود الإنسانى أو الوجود الإلهى، وقد انعكست هذه السمة فى قدرة الفكر الإسلامى على الجمع بين المادية والروحية، تماماً كقدرة المفكر الواقعى على الجمع بين الذاتية والموضوعية، فالفكر الإسلامى الذى يتميز بالمرونة والتوسط والواقعية لا يهتم بجانب على حساب الآخر، ولا يفصل بين النظر والعمل، ولا بين وجود وآخر.

وهكذا تلتقى وسطية الواقعية الإسلامية مع الواقعية الفلسفية فى ميلها نحو التوسط ورفض الانحياز للعالم المادى ولا لعالم الذات العارفة، كما أنها ترفض أن يكون العالم الطبيعى وحده هو مصدر المعارف والأفكار والحقائق، لأنه مجرد وجود دال على قدرة الله ووجود موضوع أمام العقل ليتأمله، وفى نفس الوقت لا تضحى بوجود الطبيعة والأشياء فى سبيل الذات، وكذلك لا تحد من تأثير الذات واتجاهاتها الشخصية فى الحكم على الأشياء، مع أن الواقعية فى كثير من مواقفها تنكر على الذات قدرتها على خلق الأشياء أو إيجادها وهو الأمر الذى ادعته المثالية وبالغت فيه.

وهكذا نجحت الواقعية الفلسفية التى قدمها هويدى من خلال قاعدة التوازن فى الحفاظ على موقعها المتوسط بين المثالية والمادية، وهو نفس

---

١٩. روبين جورج كولنجوود: مقال عن المنهج الفلسفى ترجمة فاطمة اسماعيل. المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠١ ص ١٣٥.

الموقف الذى نجحت الواقعية الإسلامية فى تحقيقه. وقد ظهرت فاعلية الواقعية الإسلامية فى حث الذات على الفعل فى شتى صور الأعمال الصالحة، وفى تحديد دور ومسئولية الإنسان الواعى فى فهم ودراسة الحياة الحقيقية العميقة لا الحياة الروتينية السطحية الضحلة، وأن على الإنسان الواقعى أن يسترشد فى سيره نحو تلك الحياة بمجموعة من المبادى والمعتقدات الراسخة التى تتميز بالكلية والثبات، وأن البحث فى الكلى ما هو إلا إيغال فى الواقع وحفر فيه واقتراب منه ونفاذ إلى عمق أعماق الحياة بدلا من الاكتفاء بالعيش على سطحها على حد تعبير الدكتور هويدى. ولهذا فهو يحدد الهدف بوضوح حين يقول: وما تلك سوى مسئولياتنا نحو واقعنا من أجل تغييره وتصحيحه والتمييز بين الواقع الزائف وبين الواقع الحقيقى الذى نريده بالفعل.

ومعنى ذلك أن هذا التمييز عند هويدى لا يعنى الإنحياز إلى جانب دون أخر، بل يعنى ضرورة أن يتحمل الإنسان مسئولياته فى تحقيق هذا التوازن الذى يقوده إلى إدراك الحقيقة، لأن الإنسان كما يقول هويدى فى كل الفلسفات هو الكائن الذى نيط به اكتشاف الحقيقة، تلك الحقيقة التى يمكن أن تكون قائمة فى الفكرة المجردة أو فى التأمل العقلى الصرف البعيد عن كل احتكاك بالفعل أو التجربة، وذلك حين تكون الحقيقة باطنة فى الفكرة العقلية ولا يقبل عليها من الخارج.[٢٠]

وهكذا تظهر قيمة التوازن والتوسط الذى تميزت به الواقعية الإسلامية، وخاصة أن هذا التوازن من أهم ركائزها المنهجية والقاعدة الرئيسة فى تطبيقها ونجاحها فى تحقيق أهدافها.

وتدعيما للقواعد والركائز التى تقوم عليها الفلسفة الإيمانية الحقة قدم أستاذنا عدة مفاهيم للواقعية الفلسفية بوجه عام وللواقعية الإسلامية بوجه خاص منها:

- أن الواقعية فى معناها العام تعنى إدراك الوعى الشعبى لأعماق الواقع بحثاً عن حلول مناسبة قائمة على الملاحظة والمقارنة والتجريب.

---

٢٠. يحيى هويدى: الفلسفة فى الميثاق. الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٥ ص ٢٠-٢١.

وهى بهذا المعنى تعنى تمام الفهم ليس لما هو قائم أو كائن بالفعل بل لما هو متغير ومتطور، لأن الواقعية دعوة للتحرر من كل ثبات أوجمود،بل وكل ما يقيد الفكر ويحده عن الانطلاق نحو تغيير الأوضاع.

- أن الواقعية دعوة تقوم على العلم من أجل الاهتمام بالواقع الحقيقى لا الواقع السطحى الزائف، وفى هذا الإطار يكون الإنسان الواقعى هو الذى يؤمن بوجود العالم الخارجى فى وضع مستقل عن الذات، وفى نفس الوقت يؤمن بأن العالم المادى هو مصدر كافة أفكاره وأرائه ويكون الواقع الحقيقى هو المحك والمعيار الذى يختبر به أراءه ومعتقداته الصحيح منها والزائف، ومن ثم تعتمد الواقعية على العلم وتتطور معه ولا تسلم إلا بما يمكن إثباته علمياً.

- أن الواقعية الإسلامية هى المجال العملى لفهم وتطبيق الفلسفة القرآنية، على اعتبار أن الفلسفة الحقة هى التى تستمد أصولها من القرآن والسنة لا من الفلسفة اليونانية التى اعتمدت أساساً على العقل والعقل وحده، وأن القرآن الكريم فى حاجة إلى معالجة فلسفية ميتافيزيقية حتى نتمكن من فهم أسراره وحقيقة معانيه، وأن تلك المعالجة تحتاج إلى جهود العديد من الباحثين فى الفكر الفلسفى الإسلامى، حتى يقدموا لنا آراء أكثر عمقاً من هذه النظرات الجزئية السريعة التى قدمها من قبل فلاسفة الإسلام أو حتى علماء الكلام حول بعض أيات القرآن وأدلة النقل التى لم تبلغ منه بعد (أى القرآن الكريم) إلا قشرته الخارجية.

- أن الواقعية الإسلامية تدور حول فكرة محورية هى التوحيد، على اعتبار أن كافة القضايا الفلسفية والكلامية التى أثيرت حول الإيمان ومرتكب الكبيرة والرؤية والقضاء والقدر والفاعلية والحرية الإنسانية، وما أثير حول مسائل القدم والحدوث والخلق والزمان وعلاقة الكون بالإله والإنسان، كلها تهدف إلى تأكيد حقيقة التوحيد وتنزيه الإله عن كافة مظاهر الشرك والتعدد والتشبيه والتجسيم. وهذا يؤكد القول بأن الواقعية فى فلسفة الدكتور يحيى هويدى الإسلامية هى واقعية إيمانية، وهذه الإيمانية لا تعنى فقط الإيمان العقائدى بل تعنى الإيمان بأهمية العمل والحكمة معاً، إنه الإيمان بالإله الواحد الذى أنزل القرآن وما فيه من فلسفة وفكر ويقين، إنه إيمان برسالة الفلسفة ودورها فى بناء الإنسان وتوجيه تفكيره إلى الصواب واليقين

الموجود بالواقع. كما تعنى كذلك هذه الإيمانية أن الفلسفة والدين يلتقيان فى الدعوة الصريحة إلى التأمل العقلى فى الكون والإنسان.

- أن الواقعية الإسلامية لاتتوقف عند ظاهر النص ولا تتمسك به حرفيا دون تأويل، وفى نفس الوقت لا تترك للعقل العنان كله، ولكنها تتحقق فى الإتزان والتوسط، وعلى ذلك فالواقعية الإسلامية ليست هى التأمل العقلى المجرد للفكر أو النصوص بل هى الفاعلية والموقف، أى الموقف الواضح من التراث الإسلامى وليس مجرد الإطلاع عليه. وهنا يتساءل الدكتور هويدى ويقول: كيف تظل فلسفتنا الإسلامية تائهة وسط باقى الفلسفات القديمة والمعاصرة بحجة أنها أخذت من اليونانية والغنوصية؟ وأن الموقف الفاعل يدفعنا إلى معرفة كيف نستخرج من القرآن ما فيه من فلسفة وفكر ورأى واضح فى المشكلات الفلسفية التى أثيرت حول مسائل القدم والحدوث والزمان والإنسان وعلاقة الإنسان بالكون والإله.

- أن الواقعية الإسلامية تقوم على مبدأ التواصل، وأن هذا التواصل هو الذى يحقق الإنسجام والإتزان فى الفهم والفكر والسلوك، وأن الفهم العام للواقعية الفلسفية بجميع أبعادها المثالية والواقعية والإيمانية، به وحده تظهر السمة المحورية للواقعية الإسلامية وهى التوسط لأنها لا تنكر الذات ولا تنكر الطبيعة فى نفس الوقت، فالوجود الطبيعى لا ينفصل عن الوجود الإنسانى أو الوجود الإلهى، وقد انعكست هذه السمات كالمرونة والتوسط والأتزان والتقريب والإعتدال والعقلانية فى قدرة الفكر الإسلامى على الجمع بين المادية والروحية تماماً كقدرة المفكر الواقعى على الجمع بين الذاتية والموضوعية، لأن الفكر الإسلامى لا يهتم بجانب على حساب الآخر ولا يفصل بين النظر والعمل ولا بين وجود وآخر، وهكذا فإن وسطية الواقعية الإسلامية تلتقى مع الواقعية الفلسفية فى ميلها نحو التوسط ورفض الانحياز للعالم المادى ولا لعالم الذات العارفة، كما أنها ترفض أن يكون العالم الطبيعى هو مصدر المعارف والأفكار لأنه وجود دال على قدرة الله ووجود موضوع أمام العقل ليتأمله، وفى نفس الوقت لا تضحى بوجود الطبيعة والأشياء في سبيل الذات وكذلك لا تحد من تأثير الذات واتجاهاتها الشخصية

فى الحكم على الأشياء مع أن الواقعية تنكر على الذات قدرتها على خلق الأشياء أو إيجادها وهو الأمر الذى ادعته المثالية وبالغت فيه.[٢١]

٣ـ العقلانية

لم ترفض الواقعية الإسلامية العقل، بل على العكس فقد أوجبت على الإنسان استخدامه فى جميع شئونه، وجعلته مناط التكليف وأساس الفهم لحقائق الدين وأحكامه، وفى نفس الوقت وضعت له حدوداً يجب ألا يتخطاها، واتفقت مع الواقعية الفلسفية فى توجيه اللوم إلى من يثقون فى قدرات العقل اللامحدودة، ولذا تؤكد الواقعية الإسلامية على ضرورة أن يخفف العقل من ادعاءاته ويعترف بحقيقة قدراته، وأن لا يحتكر العقل كل هذه السلطات التى خولها لنفسه خاصة وأن العقل كثيراً ما يخطئ التقدير أو يتوقف عن النشاط فى كثير من الأوقات، ومع ذلك فإن وجود الأشياء أو الظواهر لا يتأثر بذلك. هذا بالإضافة إلى أن وجود الأشياء ليس رهناً بمعرفتها رغم وجود الصلة بين الشئ موضوع المعرفة وبين الذات العارفة، ولكن هذه الصلة لا تتعدى حدود المعرفة إلى الوجود أى أن الشئ لا يعتمد على الذات فى وجوده.

وهذا ما يؤكده الدكتور هويدى حين يرى أن الواقعية الفلسفية لم تلغ الذات العاقلة لحساب الأشياء بل هى قد اعترفت بفاعليتها ونشاطها ولم تنكر الدور الذى تقوم به فى معرفة العالم، وأنها أرادت أن تقوم بعملية توزيع للمسئولية، وفى مقدمتها مسئولية معرفة الإنسان للعالم فتعطى للذات فاعليتها، وأنه عن طريق تفاعل هذه الفاعلية المزدوجة، أى الفاعلية الآتية من الذات والفاعلية الآتية من الطبيعة، فتتم معرفة الإنسان للعالم، وهذا يعنى أن الواقعية الفلسفية فى صميمها قد قامت لتقاوم الأثرة التى اتسمت بها المثالية حين أرجعت كل شئ وكل مسئولية إلى الذات العاقلة لأن الفيلسوف المثالى يعتقد أن وجود الشئ مرهون بإدراك الذات العارفة له.[٢٢]

---

٢١. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة ط٥ دار النهضة العربية ١٩٦٨ ص ١٩١- ١٩٢.

٢٢. يحيى هويدى: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة. النهضة المصرية. ١٩٧٢ ص١٧٧.

والعقلانية عند هويدى ليست مجرد هدف أو منهج نظرى فحسب بل أداة فاعلة لتعميق الواقع فى جميع الاتجاهات دينياً وسياسياً واجتماعيا واقتصادياً، وهو ما يسميه هويدى بتحقيق الوعى العام الذى أشار إليه فى مقدمة كتابه: مقدمة فى الفلسفة العامة. حيث أكد على أن الواقعية الفلسفية القائمة على العقل هى موقف من الحياة وغايتها التغيير والإصلاح فى الفكر والسلوك، وأن غاية الفلسفة أنها تكسب صاحبها احترام آراء الآخرين وسعة الأفق وديمقراطية التفكير، حيث يتحول الوعى إلى موقف من الحياة وهو يمثل أحد بل أهم مستويات تفكير الإنسان فى هذه الحياة.[٢٣]

والوعى العام عند هويدى ركيزة هامة وضرورية من أجل الإصلاح والتغيير لأنه قائم على العقلانيه والفهم، وفى هذا الإطار يستلهم أستاذنا عيون التراث العربى وما قدمه علماء الكلام من أفكار تتسم بالعقلانية المنهجية لأنهم اعتمدوا على الجمع بين العقل والنقل منهجاً لعلم الكلام وإثبات التوحيد، ووسيلة لنشر الدين وتحقيق الوعى، وبالتالى فالواقعية الإسلامية عند هويدى هى واقعية الجهد والبحث العقلى الدءوب من أجل تحقيق التثقيف الفلسفى بوصفه الأداة الفاعلة لتحقيق الوعى العام بالحاضر والمستقبل، وقضايا العصر، وقضايا مصر على وجه الخصوص، وهذا هو الوعى بالوجود أو إثبات الوجود على حد تعبير الدكتور يحيى هويدى الذى يؤكد دوماً على أن الوعى ليس مجرد اتجاه وليس مجرد معرفة أو إدراك للذات، بل هو مجموعة العمليات الإدراكية التى يتملك بها الإنسان ذاته ويحقق وجوده الذى يقوم على الفهم والقدرة على تطبيق النسق التكاملى، وهذا النسق هو الذى يسميه هويدى بالوعى العام الذى يقوم على العديد من المتطلبات الأساسية فى مقدمتها: إدراك الحقائق الجوهرية للدين، ثم إدراك قيمة الحرية والمشاركة، والوعى بالقضايا القومية، ثم إدراك القيم وعلى رأسها قيمة الوطن والمواطنة، والعلم والحرية، فعن طريق هذه المتطلبات والقيم يساهم الوعى عملياً فى القيام بدور فاعل ومؤثر فى فهم الواقع وممارسة الحياة، والتفاعل الجيد والمعايشة الكلية للواقع ومشكلاته.

ومعنى هذا أن الواقعية الفلسفية ليست مجرد تأمل عقلى منعزل عن الواقع السياسى والاجتماعى، ولكنها رؤية إنسانية ومعايشة كاملة لهذا الواقع وقضاياه الكلية، وبالتالى فإن الواقعية التى ينادى بها هويدى لا تتحقق إلا من

---

٢٣. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة. الطبعة الخامسة، ١٩٦٨ص ١٢-١٥.

خلال المشاركة الفعلية والمحافظة على مستويات الواقع الثلاث وهى الطبيعة والإنسان والله، وأن الفيلسوف الحق هو القادر على المحافظة على هذه المستويات، فبذلك وحده يتحقق الوعى المنشود من خلال الإنخراط فى هذا الواقع بجميع مستوياته وفى مقدمتها الإنسان.[٢٤]

وهنا نلاحظ أن الوعى العام الذى تحققه ركيزة العقلانية فى الفلسفة الواقعية عند هويدى هو الوعى بالأسس الحضارية والاقتصادية وليس هو الوعى السياسى أو الدينى فقط، والذى يصوره البعض أو يحصره فى مجرد الوعى بمشاكل الجماهير وحاجاتهم، ولهذا يصر هويدى على أن الموقف العقلانى الذى يحقق هذا الوعى العام هو وحده الذى يمكن وصفه بالموقف الإيجابى الذى يحقق بالفعل المعايشة والفهم للحياة، ويحقق بالفعل أيضاً التغيير والإصلاح للنفس والمجتمع وذلك للوصول إلى الأفضل وما ينبغى أن يكون، لأن هذا الوعى من خلال عمليات التجديد والتأصيل والتعميق يصل إلى الواقع الحقيقى وراء الظاهر، وهو وحده السبيل للوصول إلى ما ينبغى أن يكون عليه الإنسان والمجتمع بالفعل، وفى نفس الوقت التأكيد على أن تحقيق ذلك عملياً ليس مستحيلاً.

٤ـ التحليل

يعتبر التحليل من أهم ركائز وقواعد تحقيق الواقعية الإسلامية فهو القاعدة المنهجية اللازمة لكل مفكر وعالم بوصفه الخطوة المصاحبة لكل فعل أو ممارسة، وهو السبيل للوصول إلى الوعى بأعماق الحياة، والتحليل عند الدكتور هويدى ليس مجرد التأمل بل هو الممارسة والموقف الفاعل معا، لأن الواقعية عنده هى واقعية الممارسة الفعلية للفكر وليست مجرد النظر، إنها واقعية التطبيق للمبادئ والقيم والحكمة التى يجب أن تنتشر فى كل مكان وأن يتعرف عليها الشعب المحروم طويلاً من العلم وفى مقدمته أم العلوم أى الفلسفة.

ويستشهد هويدى بأهمية استخدام قاعدة التحليل فى فهم العقلية العربية فى تطورها، ويرى أن التحليل قد أثبت صدق مقولة ابن خلدون من أن النظر الفلسفى أمر طبيعى يهتدى إليه الإنسان، من حيث هو إنسان. وفى

٢٤. أحمد عبد الحليم عطية: مجلة أوراق فلسفية ديسمبر ٢٠٠١ ص ١١٩.

هذا الاطار جاء قول هويدى بأن المنهج العلمى السليم هو القائم على التحليل والذى يقوم على الاتجاه مباشرة إلى دراسة العناصر المختلفة للبيئة العقلية للعرب وإطلاعهم على موقف القرآن منها ورده عليها، والذى كان له الأثر الحاسم فى نشأة الفلسفة عند العرب.[٢٥]

ومن ثم كانت ركيزة التحليل كما يقول الدكتور هويدى هى ضرورة لازمة لا من أجل فرد أو جماعة بل من أجل أمتنا العربية وما تعانيه من قلق فكرى، وما يعانيه الواقع العربى من ظلمة فكرية، فأمتنا فى حاجة إلى ممارسة التحليل المنطقى للواقع الذى يقودها إلى الوعى، لأن الواقع العربى المعاصر فى حاجة ملحة لكثير من البحث وبذل الجهد وفاء لأمتنا ومستقبلنا،وعلى ذلك فالتحليل هو عملية التأصيل للفكر بالعودة إلى حقيقة فكرنا وتاريخنا والغوص فى الجوهر للوصول إلى الحقيقة.

ويؤكد الدكتور هويدى على أن التحليل يجب أن يكون للواقع وليس لمجرد الفكر، وكان بنفسه النموذج العملى لذلك فى محاولته لتحليل واقع الشعب المصرى والتعبير عن ذلك برؤيته السياسية لفكر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. من خلال كتابيه: الحياد الإيجابى وفلسفة الميثاق، ثم بعد ذلك ممارسته للتحليل الواقعى للأسباب والنتائج التى أدت إلى هزيمة عام ١٩٦٧، والعوامل المؤدية إلى النصر، وقد ذكر ذلك فى مقدمة كتابه: مقدمة فى الفلسفة العامة حين قال: إن الإنتصار الحقيقى على العدوان لن يكون بقوة إيماننا فحسب ولا بقوة السلاح الذى وفرناه ونوفره، بل بتعميق حياتنا وأخذها مأخذ الجد، وأن الصبر والصمود والفكر والجد فى الحياة هو الطريق إلى النصر، وأن التحليل العلمى للأسباب والعلل القائم على الصدق والواقعية هو الذى ينير لنا الطريق، لأن توضيح معالم الصورة يكون باتباع المنهج العلمى فى التفكير،وبالأسلوب الديمقراطى إلى نهايته، وتعميق إطار حياتنا، وتحديد المفاهيم، والعمل وفقاً للقيم الأخلاقية والروحية والنظرة الشمولية إلى المجتمع، وكل هذا- كما يقول هويدى- تعلمنا إياه الفلسفة والوعى بأعماق الحياة وممارسة التحليل، إنه التحليل والنقد الواعى القائم على الربط بين النظريات الفلسفية وروح الميثاق الوطنى فى ميدان الدراسات الإنسانية عامة.[٢٦]

---

٢٥. يحيى هويدى: محاضرات فى الفلسفة الإسلامية. دار النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٦ ص ٩-١٩.

٢٦. يحيى هويدى: الفلسفة فى الميثاق. دار القلم القاهرة ١٩٦٥ ص ٧-٨.

ويرى الدكتور هويدى أن التحليل كدراسة وممارسة يدلنا على أسباب الهزيمة(يقصد نكسة عام ١٩٦٧) وفى مقدمتها: أننا لم نوضح لأنفسنا معالم الصورة كما ينبغى أن تتضح، وأننا لم نستطع أن نسير فى الخط الديمقراطى إلى نهايته، وأننا لم نستطع أن نعمق إطار حياتنا، ولم نستطع أن نسلط أضواء كافية على كثير من المفاهيم والمبادئ التى انتشرت فى حياتنا، وأننا لم نستطع أن نعمل فى حياتنا وسلوكنا بوحى من قيمنا الأخلاقية والروحية واستغرقتنا التفاصيل فلم نستطع أن ننظر نظرة شمولية إلى المجتمع ككل.

والتحليل بهذا المعنى الشامل لا غنى للفرد ولا للأمة عنه، لأن كل فرد منا بحاجة إلى أن يعرف نفسه، وكل دولة أو مجتمع بحاجة كذلك إلى أن يعرف نفسه، وأن التحليل كعمل عقلى يدلنا بحق على أن الفلسفة ليست تحليقاً فى الهواء بقدر ما هى تعميق وفهم ودراسة للحياة والمجتمع، ومعرفة بحقيقة الأسباب والعلل، وأن العصر الذى نعيش فيه ليس فقط عصر العلم والتكنولوجيا، بل هو أولاً وقبل كل شئ هو عصر الشعوب، وإذا كان للعلم هذه الفائدة الكبرى التى تجعله مسئولاً عن رفاهية الشعوب وتقدمها الحضارى والاقتصادى فإن وعى هذه الشعوب هو الذى يصنع المعجزات ولا يستطيع العلم معه شيئاً.[٢٧]

٥- النقـد

وهو الحلقة أوالخطوة المتممة للتحليل، وهو بيان للموقف والإتجاه، كما أنه خطوة لازمة لتقييم الواقع عندما يفتش الفيلسوف عن المبادئ العامة التى يؤسس عليها معتقداته الخاصة ويتيقن من أن الحياة التى يحياها ليست هى الحياة الجديرة بالإنسان، وأن هذا الواقع الذى نصطدم به فى معركة تدبير المعاش ليس هو وحده الواقع الجدير بصفتنا الإنسانية، عندئذٍ يجد الفيلسوف نفسه على عتبة النقد ويعبر بصدق عن موقفه من الحياة، وبالتالى فإن الواقعية النقدية التى تجعل من الواقع المصدر الأساسى للمعرفة، فإنها لا تتسرع بوصف معرفتنا كلها بوصف واحد وكأنها من طبيعة واحدة، بل لابد

٢٧. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة. النهضة العربية القاهرة ١٩٦٨ ص ٤-٦.

من تحليل هذه المعرفة ونقدها لنرى ماذا يتشابه فى أجزائها، وماذا يختلف، وماذا يتطابق مع الأشياء الخارجية.[٢٨]

وقد استخدم هويدى مبادىء فلسفته الواقعية منطلقا لتوجيه النقد لكل اتجاه أو فكر يخالف المنطق والعقل من جهة، أو يخالف حقائق العلم والدين من جهة ثانية، ولذا نراه ينتقد بعض اتجاهات الفلسفة المادية والوجودية والماركسية، كما انتقد بشدة آراء ماركس وإنجلز ولينين رغم ما بينهما من اختلافات جوهرية، كما انتقد أصحاب الإتجاه التحليلى والوضعى وخاصة الذرية المنطقية والوضعية المنطقية، وكذلك أصحاب الإتجاه المادى واعتقادهم بأن جوهر العالم هو العنصر الرئيسى الذى يتكون منه العالم إنما هو المادة، أى الأشياء كما نلتقى بها فى الحياة منظورا إليها فى وجودها الواقعى الحقيقى وليس وجودها الصورى المتخيل.[٢٩]

وهذه الإنتقادات لم تمنع هويدى من استعراض خصائص الفلسفات الوضعية أوالواقعية أوالماركسية أيضا ويقول : أن ماركس ذهب إلى أن تطور التاريخ هو سجل واقعى لعمل الإنسان وأنشطته، الأمر الذى يعنى ان ماركس فى فلسفته المادية لم يكن عدوا لأفعال الإنسان وأنشطته، وأنه لم ينتصر للمادة على حساب العقل الإنسانى وتصوراته وأفكاره على نحو ما يزعم البعض،ولذا فإن فلسفة ماركس تقوم على دعامتين: المادة من ناحية والإنسان من ناحية ثانية، وسنرى أننا عندما نبدأمن الإنسان فإننا سنصل حتما إلى المادة، تماما كما بدأنا من المادة ووصلنا منها إلى الإنسان، ومعنى ذلك أن الإنسان هو محور التفكير الماركسى كله، والإنسان عنده هو الفرد الذى يصنع تاريخه من خلال أفعاله ومختلف أنشطته، وأن العمل الذى يقوم به الفرد هو همزة الوصل بين الإنسان والطبيعة، وعلى هذا النحو أصبح الإنسان عند ماركس يمثل وجودا شاملا أو وجودا منتشرا، ولم يعد الإنسان فى نظر ماركس مجرد وعى يحيا فى ذات مقفلة على نفسها، ولم يعد يمارس حياته فى طريق سلطانى أملاه ورسم معالمه الإجترار الذاتى، وزينت جدرانه بصور ولوحات كلها مجرد انعكاسات للنفس الإنسانية ومزاياها، كلا. إن الإنسان عند ماركس خرج من ذاته، وأصبحت ماهيته هى هى وجوده. لقد حقق الإنسان بعمله فى الفكر الماركسى أشياء كثيرة، لكن هذه

---

٢٨. محمود حمدى زقزوق: تمهيد للفلسفة. دار المعارف القاهرة ١٩٩٤ ص ١٤١-١٤٢.

٢٩. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة ص ١٧٢، ١٧٧.

الأشياء قد انفصلت عن الإنسان وأصبحت تمثل تحققات غريبة عنه وتقف فى مواجهته، وذلك لأن العمل الإنتاجى لم يعد جزءا من حياة وطبيعة المنتج وهو الإنسان، ولأن الإنسان لم يعد يشعر فى العلم بأنه يحقق ذاته، بل أصبح يشعر بأنه يسهم فى إلغاء ذاته، لم يعد العلم مصدرا لسعادة العالم بل أصبح مصدرا لشقائه.

ويستمر هويدى فى تناول أهم ملامح الفكر الماركسى قبل توجيه النقد إليه فيقول : ويهمنا هنا بصفة خاصة أن نبرز فكرتين رئيسيتين فى الفلسفة الماركسية من خلال نظرية المعرفة، وهاتين الفكرتين هما : فكرة الديالكتيك أو الجدل وقوانينه، وفكرة العمل باعتباره مصدرا من مصادر المعرفة. فنحن نعلم أن ماركس قد تحدث عن منهجه الديالكتيكى المادى أى الواقعى، فى مقابل المنهج الديالكتيكى عند هيجل، ووصف هذا الديالكتيك الأخير بأنه كان يسير على رأسه نظرا لأنه كان ديالكتيكا للأفكار أو التصورات، أما هو أى ماركس فقد أراد أن يجعل الديالكتيك يسير على قدميه من حيث أنه لا ينبغى أن يعالج تصورات أو مقولات ذهنية بل أشياء واقعية موضوعية، يعيشها الناس فى مشاكلهم الجماهيرية وحياتهم اليومية مستقلة عن وعيهم أو شعورهم. ولكن ماركس لم يقنن الديالكتيك ولم يقدم له تلك القوانين المعروفة فى كتب الماركسية، والتى حصرها إنجلز فى ثلاثة قوانين وحافظ الماركسيون المعاصرون عليها وهذه القوانين هى : قانون وحدة الأضداد وصراعها، وقانون تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية، وقانون نفى النفى.[٣٠]

وهذه بعض الإنتقادات التى وجهها هويدى للفكر الماركسى

- قولهم أن العمل وحده هو معيار الصدق، ومعنى ذلك أن الصدق فى نظر الماركسيين ليس ذاتيا، وليس واجبا أخلاقيا، ولا يتوقف على اعتقاد شخصى بل هو موضوعى فقط ويستند على أساس واقعى وهو الممارسة العملية أو التطبيق العملى، لأنه هو وحده الذى يستطيع حسم قضية الصدق.

---

٣٠. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر ٢٠٠٤. ص ١٨٦-١٨٩.

- أن الفلسفة الماركسية فلسفة إلحادية لأنها تعتبر الدين ألد أعدائها، وبالتالى فإن الماركسية تعتبر أعنف حملة نقد وجهت للإتجاهات المثالية والدينية معا، وعلة ذلك عندهم أنها تتصور أن الأشياء لايمكن أن تظفر بوجود حقيقى واقعى، وتكون فى الوقت نفسه تعبيرا أو مظهرا للوجود المطلق.

- أنها تصورت ان المادة أزلية قديمة، ومادامت كذلك فهى ليست مخلوقة، ومن ثم ليس هناك ما يدعو للقول بالإله الخالق.

- أنها تصورت أن الإنسان يمكن أن يحصل على سعادته كاملة فى هذه الدنيا، ومن ثم فإن التلويح له بسعادة أخروية أو بسعادة يتلقاها من أعلى أمر لا ضرورة له، فضلا عن أن فيه ما يلهيه عن تحقيق سعادته فى هذه الحياة.

ولأن النقد ليس مجرد قول أو رأى أو توجيه للإتهام أو استعراض للرأى أو الإتجاه، فقد حرص هويدى على بيان حقيقة هذه الإتهامات والرد عليها، مبينا الدوافع التى دفعت أصحاب الفكر الماركسى للقول بهذه الآراء، فجاء رده على التصور الأول بقوله :

- أنه لا تعارض بين أن يكون الشىء تعبيرا عن الوجود المطلق، وتكون فى الوقت نفسه الأشياء محتفظة بحقيقتها وواقعيتها وإيجابية وجودها وجودا كاملا تاما، بل من الممكن أن يكون الله قد أراد لها أن تكون الأشياء لها دورها وإيجابياتها ووجودها وفائدتها، ويكون لها من الحرية ما يجعلها تسبح بحمده، كما فى قوله تعالى :و إن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم.الإسراء ٤٤.

- ورد هويدى على التصور الثانى للماركسية بقوله : إن من الممكن أن تكون المادة قديمة ومخلوقة معا، حقا إن قدم المادة كان مرادفا لأفكارالخلق، وبوسعنا أن نجد فى الفلسفة الإسلامية أمثلة لفلاسفة قالوا بالخلق وقدم العالم فى وقت واحد، مثل بعض المعتزلة وابن رشد مثلا، وأن ابن رشد وإن لم يكن قد قال صراحة بقدم العالم، فإنه من أنصار خلق العالم لا فى زمان، ومن أنصار وجود مادة قديمة مع الله إستنادا إلى بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على،العرش.يونس ٣، فهو قول يفيد أن مكان عرشه تعالى على الماء، وقوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهى دخان.فصلت.١١ فإن مثل هذه الآيات تشعر بوجود مادة قبل الخلق الإلهى للعالم.

- ورد هويدى على التصور الثالث للماركسية بقوله: نستطيع أن نشير إلى التفرقة التى قال بها الإسلام بين التوكل والإتكال، فمن واجب

المسلم أن يتوكل على الله، ولكن هذا لا يعنى مطلقا الإتكال أو التقاعس عن العمل.

ومعنى ذلك أن النقد عند أستاذنا ليس مجرد إبداء الرأى أو إطلاق الحكم بالصواب أوالخطأ، لأن النقد عنده منهج وموقف غايته الحكمة والحقيقة عن طريق التأصيل والتعميق، أى تأصيل الفكر وتعميق الواقع، مع ملاحظة أن الواقع ليس هو الواقع المادى فقط أو الواقع السطحى الزائف، بل الواقع الحقيقى بكل مشتملاته الظاهرة والباطنة، إنه الواقع الفكرى والثقافى والإقتصادى والإجتماعى أيضاً، ومن ثم فإن النقد البناء هو عملية التأصيل والتعميق لفكرنا ووسيلة التجديد فى حياتنا،مع ملاحظة أن النقد لا بد أن يؤسس على العلم لأن العلم ضرورى من أجل الوعى، والذى يحق له أن يمارسه هو صاحب الحكمة النظرية سواء كان فيلسوفاً أو عالماً أو فناناً، فعندما يمارس النقد الذاتى القائم على التأمل والدراسة والتحليل، يكتسب سعة فى الأفق التى تجعله يرى للمسألة الواحدة وجهات متعددة وتجعله يفسح لآراء الآخرين مكاناً إلى جانب رأيه الخاص.

وهذا يعنى أن النقد البناء ليس تمسكاً برأى أو وجهة نظر خاصة ترفض آراء الآخرين، بل هو يقبل الرأى الآخر خاصة إذا كان مفيداً أو مؤيداً بالدليل، ومن ثم يكسب النقد ديمقراطية التفكير التى تبعد به عن الغرور الزائف أو التعصب البغيض. ويؤكد الدكتور هويدى على أن صاحب الحكمة النظرية فى موقفه الناقد فضلاً عن أنه يقبل آراء الآخرين ونقدهم برحابة صدر فإنه كثيراً ما ينتقد نفسه ولا يجد غضاضة فى ذلك، ومن هنا فإن النقد الذاتى من أهم خصائص الحكمة النظرية ومن أهم خصائص الثقافة بوجه عام.

والدليل على أن التحليل والنقد فى مقدمة قواعد المنهج الفلسفى، من أجل إدراك وفهم الحياة الواعية أو العميقة للإنسان، تأتى محاولة الدكتور هويدى لنقد وتحليل جميع الإتجاهات الفلسفية المعاصرة وخاصة الوجودية والماركسية، واتجاه الوضعيين المناطقة من أصحاب التحليل اللفظى الذين أغفلوا الواقع المادى الطبيعى وحولوا الوجود إلى عالم لفظى خالٍ من الحياة والمعنى، واعتمدوا على جزء من اللغة، وقالوا بعالم ثالث هو عالم الألفاظ الجدير بالتحليل، ولم يهتموا بما يجب تحليله ودراسته والاهتمام به ألا وهو مستخدم اللفظ ومستخرج المعنى وهو الإنسان وعالمه الطبيعى الموجود فيه.

وكان نقد الدكتور هويدى الصريح لهم بعد تحليل فلسفتهم بأنهم قد أهملوا الإنسان وأهملوا الفكر وأهملوا الحياة العميقة للإنسان والوجود الذى يتأثر به ويؤثر فيه، ووصف موقفهم بقوله: وعاش التحليليون على هامش الفلسفة والواقع وكانوا أكثر مثالية من المثاليين أنفسهم.

ولا يعنى هذا بالطبع رفض الدكتور هويدى للتحليل أو الفلسفة التحليلية بوجه عام بل معناه أن التحليل لا يكون للألفاظ فقط ولكن التحليل يجب أن يشمل كافة جوانب الحياة ومشاكل الفكر والمجتمع، وأن التحليل طريق التأمل، وهو السبيل للوصول إلى الوعى بأعماق الحياة، أو تلك الحياة الواعية للإنسان، ولن يتأتى للإنسان ذلك إلا من خلال الموقف الفلسفى الذى يبدأ بالدهشة التى هى عماد التفلسف كما أنها عماد العلم والفن على السواء، ثم بالتحليل والنقد معا حتى يتحول الاعتقاد إلى إيمان، أى الإيمان الأكثر ثبوتاً ويقيناً من مجرد الاعتقاد.

٦- الشمول

كانت فكرة الشمول عند هويدى من أهم الأفكار المحورية التى تحولت فى فلسفته الواقعية إلى قاعدة منهجية لازمة لتطبيق الفكر وتحقيق الوعى وفهم الوجود العام، لأن الشمول فى معناه العام يعنى الوجود الكلى المعبر عن حقيقة الفلسفة. ويرى الدكتور هويدى أن قاعدة الشمول تظهر فائدتها الجلية عند تأمل حقيقة الفلسفة بوصفها علم الوجود الكلى أو المطلق الذى يصل إليه الإنسان بعد أن يكون قد ابتعد عن جزئيات الحياة الجارية وخلص إلى النظر والتأمل، إذ أن الفلسفة فى حقيقتها ليست إلا محاولة لفهم هذا التفاعل بين الإنسان والوجود على وجه يخرج به من البحث الجزئى إلى البحث الكلى الذى يتناول الوجود العام.

والشمول كقاعدة فى البحث وطريق للوصول إلى أعماق الواقع، يأتى بمعنى محاولة إدراك كافة جوانب الحكمة، وخاصة الحكمة النظرية التى تتميز بالكلية، مع ملاحظة أن الحكمة العملية طابعها التدبير وأن الحكمة النظرية طابعها التأمل والبحث النظرى. وأن المسائل التى تتناولها الحكمة النظرية أكثر كلية لأنها بحث عن الأسس والأصول النظرية الكلية التى تبنى أو تقوم عليها المعتقدات الخاصة ولأنها تتناول الوجود ككل أو الحياة ككل والإنسان ككل وقيمة الوجود الإنسانى بعامة وعلاقة الإنسان بالكون كله

وكيفية إدراكه له ومجموعة المثل العليا الكلية التى يترسمها الناس فى حياتهم.

والشمول فى معناه الفلسفى يعنى الحياة الكلية والقدرة على التعبير عن الواقع الحقيقى والإتجاه نحوه، وهذا ما يؤكده الدكتور هويدى حين يوحد بين الواقع والحياة فى شمولها وعمقها فيقول: إن الواقعية الحقيقية ليست واقعية اتجاه أو علم من العلوم بل هى واقعية حياة وممارسة وصدق الإحساس، لأن الواقعية هى صدق التعبير عن الواقع، وفى نفس الوقت تعنى شمول المعارف ومختلف العلوم، كما تعنى قابلية الحكمة للتطبيق وتحقيق الوعى المطلوب. والدليل على ذلك أن الواقعية فى الفن تعنى قابلية الفن للتأثير والتأثر وإحداث التفاعل المطلوب فى المشاعر والأحاسيس، وأن الواقعية فى التاريخ والسياسة تعنى صدق التعبير عن الحدس والوعى بمتغيرات الواقع الحسى الملموس أو الواقع المعاش بالفعل.

والشمول عند الدكتور هويدى يعنى أيضاً ضرورة الالتزام بشمولية المعرفة فى كل من العلم والفلسفة من حيث الغاية والهدف فكلاهما غايته الحقيقية الوضوح، وكلاهما تعبير عن الواقع الكونى وظواهره الموضوعية، وكلاهما يدلان على مفهوم واحد خاصة إذا فهمنا الفلسفة بمعناها القديم أو التقليدى حيث كانت تشمل كافة ألوان المعرفة البشرية كلها وأم العلوم جميعاً. وهذا الشمول يكمن أيضاً فى كون الفلسفة هى التفسير الشامل للكون ككل، وهى تشمل بهذا المعنى كل من العلم والدين فى كونهما خادمان للإنسان، كما تشمل تعريف أرسطو للفلسفة على أنها علم الوجود الكلى، وأنها العلم الذى يبحث فى الأسس النظرية التى تدعم مجموعة المعتقدات التى يعتقدها كل منا فى حياته الخاصة وتكوّن ما يسميه الناس عادة بالفلسفة الخاصة، فإن الفيلسوف لا يتعرف على الكلى إلا إذا باعد بين نفسه وبين الحياة العامة أو اليومية ويقوم بعملية رد العالم الخارجى فى صورته الجارية إلى الذات حتى يتيسر له البحث فى الوجود بصورته الكلية.

والشمول بهذا المعنى يكون من أهم ركائز الواقعية الإسلامية التى تساهم عمليا فى تحقيق صقل الوعى العام، هذا الوعى الذى لا يتحقق إلا بالتفلسف والجمع بين الوجود والماهية، والغوص فى عالم الوجود الواقعى الحقيقى لا الزائف، وفى هذا المعنى يقول هويدى: إننا نعيش فى عصر الشعوب القادرة بوعيها على كسب كثير من المواقف، وهذا الوعى لا يمكن

أن يترك هكذا بلا دراسة شاملة أو توجيه أو تخطيط، ومهمة هذا كله تقع على عاتق الدراسات الإنسانية بعامه والفلسفية منها بخاصة.[٣١]

٧- التحرر الفكرى

فى معناه العام يأتى بمعنى رفض الجمود والجهل والتخلف من أجل تحصيل الحكمة. وهو عند الدكتور هويدى هوالسبيل لإيقاظ الوعى من خلال الدعوة إلى التحرر الفكرى ورفض الجمود، وأن هذا لا يتحقق إلا عن طريق الحكمة. فالحكمة لا تتحقق إلا مع تحرر الفكر من كل قيد من أجل الإنطلاق نحو الواقع الحقيقى، وهذا الواقع عند أستاذنا هو الواقع العام المتصل الذى يقوم على المزج الوثيق والتعايش السلمى بين ما هو بشرى وما هو إلهى، لأن الواقع الحقيقى ليس هو المباشر وليس هو واقع الأشياء المحسوسة بل هو ما يقع وراء المحسوسات من جواهر وماهيات.

ولعل ذلك وراء مفهوم الفلسفة الذى قدمه هويدى فى كتابه: الفلسفة فى الميثاق حيث جعل الفلسفة هى التعبير عن الروح العامة أو الفكرة العامة التى تتميز بالحرية والإنطلاق، ويدور حولها مشروع معين أو موضوع معين، وأن هذه الروح الفلسفية القائمة على التحرر الفكرى هى التى ستحقق البناء الحضارى للأمة العربية وكذلك بناء الدولة العصرية التى أرادها هويدى، وأن هذا التحرر الفكرى هو الذى يساهم عمليا فى إيصال الأفكار إلى الجماهير أو الشعوب بدلا من أن يقتصر فهمها على طبقة المثقفين أو المتخصصين، وعلى ذلك تتوافق روح الفلسفة مع روح التحرر الفكرى تمشيا مع روح الثقافة الجماهيرية التى نسعى إليها جميعا فى هذا العصر الإشتراكى المجيد كما يقول هويدى.[٣٢]

ويصف الدكتور هويدى قيمة هذه الحكمة أو القاعدة المتمثلة فى التحرر الفكرى ودوره فى تحقيق التفاعل، فيقول: فالحكمة لا تعنى مغادرة هذه الحياة والتحليق فى أجواء أخرى بعيدة عنها، بل هى تعميق هذه الحياة نفسها وذلك عن طريق الوقوف على المبادئ والقوالب أو المقولات العقلية العامة الكلية التى تساعدنا فى تنظيم إدراكاتنا للطبيعة وفى تشكيل حركة

---

٣١. يحيى هويدى: حياد فلسفى. دار القلم القاهرة ١٩٦٣ ص ١٢.

٣٢. يحيى هويدى: الفلسفة فى الميثاق. الدار المصرية للتأليف والترجمة دار القلم القاهرة ١٩٦٥ ص ٤-٥.

الموجودات من خلالها، وأيضاً عن طريق الاهتداء إلى مجموعة المعايير الأخلاقية والروحية التى تضبط حركة الحياة البشرية للأفراد والمجتمعات.

ويشير الدكتور هويدى إلى أهمية التحرر الفكرى فى تحقيق الغايات الإنسانية كالسعادة، والوصول إلى علاقات اجتماعية جديدة ومفيدة،ثم تغيير المفاهيم وتعديل الاتجاهات والتحول الأيدولوجى نحو الواقع العميق الأصيل لا الواقع الزائف، بالإضافة إلى تعميق التصور الأنطولوجى لله ليكون هذا التصور محور الإرتكاز فى فلسفة عامة تحدد علاقة الله بالكون والإنسان، وخلق الله للعالم، وعلاقة الفرد بأشباهه من الناس، وذلك لإبراز الحل النموذجى الذى قدمه القرآن لهذه القضايا.

ولأن التحرر الفكرى هو السبيل لتحقق أمل الإنسان وطموحه سياسياً واجتماعياً، فهو الدليل على فاعلية الإنسان وسعيه نحو التغيير والتجديد، ولا تكون فلسفة إلا مع حرية الفكر وإبداعه لأن الفلسفة - كما يقول الدكتور هويدى- هى النتاج العقلى الذى يرمز إلى حرية الإنسان وإلى التفكير المستقل الإبداعى، أو هى محاولة نقد الفكر القائم بهدف التغيير، أى بهدف تغيير العلاقات الاجتماعية القائمة وخلق علاقات اجتماعية جديدة.هذا بالإضافة إلى أن حرية الفكر فى مجال الاعتقاد تشير إلى الأمل والتفاؤل فى وضوح الرؤية وتوحدها مستقبلاً، وتحقق عقيدة التوحيد والتزام كافة الشعوب بها نتيجة الاهتمام الدائم بالفلسفة القرآنية إلى جانب الاهتمام بالفلسفة الإسلامية، فكلاهما يمثل الواقعية الإسلامية التى ينتهجها هويدى خير تمثيل.

ويؤكد الدكتور هويدى على أن هذه المعانى التى تدل على أن التحرر الفكرى هو الباعث على وحدة الفكر والتفاؤل والأمل فى غد أكثر وحدة وتطور وإيمان وتغيير فيقول: ولن أكون مسرفاً فى التفاؤل إذا قلت بأن العالم يقترب فى أيامنا هذه أكثر مما كان فى أى وقت مضى من مرحلة وضوح الرؤية وسينتهى به الأمر قريباً - وليس هذا على الله ببعيد- إلى اعتناق عقيدة واحدة هى عقيدة التوحيد، وإلى النزول بها إلى أرض التطبيق العملى بعد أن ظلت -على الأقل- أربعة عشر قرناً من الزمان مجرد عقيدة نظرية، لم تظفر روحها بالتطبيق الشامل والممارسة الفعلية الواقعية التى تنأى بها عن كل المظاهر الشكلية، والتأويلات الحرفية الضيقة التى لم تمس جوهر العقيدة. ويوم أن يتم هذا سيختفى إلى الأبد ذلك النزاع التقليدى المصطنع بين الفلسفة والدين، وستجد حقوق الإنسان التى قررتها دساتير

الشعوب القائمة على ركيزة قوية من العقيدة تستطيع وحدها أن تضع حداً لمؤامرات الطغاة وأعداء الحياة، ويأخذ المسلمون فى الاهتمام بالفلسفة القرآنية إلى جانب اهتمامهم المفرط بتلك الفلسفة الإسلامية.[٣٣]

٨- حرية الفعل

نظر هويدى إلى حرية الفعل من خلال منظور واقعيتة الإيمانية وأعتبر حرية الفعل متقدمة على حرية الفكر، لإنه في واقعيتة يقدم الوجود على الماهيه ويقدم الفعل على النظر المجرد، ولهذا اعتبر حرية الفعل من أهم الركائز المنهجية للواقعية الإسلامية، فالحرية عنده ليست كما كانت عند المثاليين مجرد شعور أو ترجيح عقلى، كذلك ليست كما كانت فى الفلسفة الوجودية مجرد ممارسة للتجربة والسعى الدائم للتحرر من العقبات التى تعرقل تحقق الفعل. ولذا يشير هويدى في كتابه الفلسفة فى الميثاق إلى أهمية حرية الفعل الممتزجة بنوع من الحتمية أو الإلزام.

ورغم تعاطف هويدى الظاهرى للتصور الوجودى للحرية، فقد رفض هذا التصور الذى يصور الإنسان كمخلوق يقاوم سلسلة من العقبات واحدة تلو الأخرى، وتجعل الإنسان يدور فى حلقة مفرغة لا تنتهى إلى منفذ، ولهذا يعقد هويدى مقارنة بين التصور الوجودى لحرية الفعل، وبين التصور الذى قدمة الميثاق الوطنى المعبر عن فلسفة الثورة لمفهوم الحرية القائمة على وضوح الهدف من كل فعل، والتركيز على الترابط الضرورى بين النظر والعمل وفعل التحرير، لإن الحرية فى الميثاق تستند على أساس جماعى أو شمولية المجتمع بجميع طبقاته، وهو مفهوم يختلف تمام الاختلاف عن هذا الإغراق فى الفردانية الذى نلتقى به عند الفلاسفة الوجوديين.[٣٤]

وحرية الفعل عند هويدى تعنى أن حاجة الإنسان إلى الفعل ضرورة لازمة ولا تقل فى الأهمية عن حاجته إلى التأمل وإلى العقل، لأن الفعل - كما يقول الدكتور هويدى- هو الذى يجعله يثبت وجوده ويجعله يغير بيئته بالفعل وليس بمجرد التأمل العقلى. ولأن العمل الجاد فى ذاته هو الدال على حرية

---

٣٣. يحيى هويدى: العلاقة بين الفلسفة والدين من زاوية حضارية. بحث ألقى فى المؤتمر الأول للفلسفة الإسلامية بكلية الأداب جامعة القاهرة. نوفمبر ١٩٧٩ ص ١٠-١٢.

٣٤. يحيى هويدى: الفلسفة فى الميثاق. دار القلم القاهرة ١٩٦٥ص ٣٨-٤٢.

الإنسان وقدرته على الإبداع، وهو السبيل لإثبات الذات ومعايشة الواقع الحقيقى فى تفاعله وجوهره،وأن هذا العمل الجاد هو الذى يكسب الإنسان والأشياء القيمة الحقيقية، وهذه المعانى يؤكدها الدكتور هويدى حين يقول: إن القيم الحقة لا توجد فى بطون الكتب ولا على ألسنة الوعاظ ولا فى الأبراج العاجية ولا فى عالم المثل، بل توجد بالأحرى فى معركة الحياة والفعل والتجارب الحية على أرض العمل لا على أجنحة التأمل، فقد خلق الإنسان ليعمل، وأن عمل الإنسان لا يقصد من ورائه إشباع حاجاته فقط، لأن هذا لا يمثل فى أحوال كثيرة إلا مجرد هدف ثانوى، إنما يعمل الإنسان أصلاً ليشعر بالحرية ويستمتع بقدرته الذاتية على الخلق والإبداع، وعن طريق العمل انتصبت قائمة الإنسان،وليخلق لنفسه فى الخارج وجوداً يرى نفسه فيه، ويتحمل وحده تبعته ويضع فيه ذاته ليراها الآخرون وليحكموا عليها فيه ومن خلاله، وبهذا استطاع الإنسان بالعمل أن يتحرر من أسر ذاته فيخرج من كهفه الذى يمثل مغارة استغراقه فى نفسه، يخرج إلى العالم الخارجى ليفجر طاقاته فيه.

٩- الموقف الخلقى

علم الأخلاق عند هويدى علم معيارى مهمته أن يضع معيارا أو مثلا أعلى أمام السلوك الإنسانى ثم يحكم عليه إن كان خيرا أو شرا بمقدار اقترابه من أو ابتعاده عن هذا المثل الأعلى، وليس هناك علم للأخلاق إلا إذا كانت هناك أفعالا أخلاقية أو تجربة سلوكية واقعية، فعن طريق هذه الأفعال وتلك التجربة تتحدد القواعد الأخلاقية. وبهذا الاعتبار نستطيع أن نقول إن الفضيلة ليست مجرد معرفة بالفضيلة، أو هى قدرة نظرية على التمييز بين الخير والشر كما يزعم فلاسفة اليونان، وبنوع خاص سقراط وأفلاطون، بل هى سلوك أولا وقبل كل شىء، فليس يكفى فى الرجل الفاضل مثلا أن يعرف أضرار الكذب معرفة نظرية، بل إنه لن يكون فاضلا إلا إذا التزم الصدق فى حياته الواقعية بالفعل.[٣٥]

---

٣٥. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة، دار النهضة العربية ط٥، ١٩٦٨ ص ٢٠٦-٢١٠.

والمقف الخلقى معناه عند الدكتور هويدى ضرورة تحقق الفعل الخلقى فى دنيا الواقع وانتقاله من مرحلة الهمس الباطنى إلى الفعل الخارجى، وأن هذا الموقف قد يتم فى لحظة خاطفة حين يعقد الإنسان العزم ويصمم على أن يقوم بالعمل الأخلاقى بوصفه الواجب مهما كلفه ذلك من تضحيات، الأمر الذى يحتاج إلى شجاعة فائقة ويتطلب من المرء كثيراً من العزيمة. ومعنى ذلك أن الموقف الخلقى مرحلة تحول هامة فى حياة الإنسان نحو تحقيق ما ينبغى أن يكون بالفعل، وأن الشجاعة والإصرار والإرادة لازمة لتحقيق متطلبات الحياة العامة وتحقيق الذات.

وهذا المعنى هوالذى يؤكده الدكتور هويدى حين يقول: إن الإنسان فى حاجة ماسة لهذه الشجاعة ليتمكن من تخطى حاجز الحياة البليدة الرتيبة التى نعيشها فى وجودنا اليومى، فالحياة الجارية على السطح لا تترك للإنسان فرصة للتأمل لأنه يجد نفسه منساقاً فى دوامتها مأخوذاً بثرثرتها، ولذا فإن الإنسان لا يستطيع أن يفكر أو يتأمل إلا إذا وجد فى نفسه من الإرادة القوية الحازمة ولو فى فترة ما أن يقول للحياة الجارية الرتيبة لا، ويخلص الإنسان نفسه من مشاكلها ساعة أو بعض ساعة حتى يتيح لنفسه أن يتأمل الحياة الحقيقية ولو من بعد.

وهذا يعنى أن الموقف الخلقى موقف تأملى قائم على فضيلة الشجاعة التى يجب أن يتحلى بها كل من الفيلسوف والعالم على اعتبار أن البحث فى الفلسفة وكذلك العلم يتطلب من صاحبه الشجاعة فى القول وعدم الخضوع للأهواء الذاتية أو المؤثرات الشخصية، وعلى عكس ذلك فإن الإنسان الغير أخلاقى الذى يبعد عن الأخلاق الفاضلة هو عادة الإنسان الذى يضعف أمام نفسه وأمام شهواته وأمام العقبات الكثيرة التى تعترض تحقيقه للفضيلة. ولذا فإن الإنسان الفاضل فى مفهوم الواقعية الإسلامية هو الذى يزود نفسه دائماً بالشجاعة لكيلا ينجذب إلى الشعور البيولوجى وليظل دائماً محافظاً على المستوى الأخلاقى فى مقاومة طريق الغواية والشر كابتاً عواطفه الفردية وحبه لذاته.[٣٦]

وهكذا لا يتحقق الروح الواقعى إلا بالتعميق الروحى للحياة ومن خلال الممارسة الأخلاقية والسياسية؛ حتى نصل فى جوفها إلى واقع روحى

---

٣٦. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة. النهضة العربية ١٩٦٨ ص ٣٦، ٢٧٤.

متحقق بالفعل، بحيث يقابل هذا الواقع أو يناظر الواقع التكنولوجى للعلم، ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق السلوك الأخلاقى والممارسة السياسية القائمة على بث القيم والأخلاق السامية فى نفوس البشر ومن خلال المواقف ومن خلال التربية السياسية المتصلة والقرارات السياسية المصيرية.

وهذا بالطبع كما يقول الدكتور هويدى يتطلب ضرورة المحافظة على استقلال الإنسان، فالاستقلال البشرى يعنى شعور الإنسان بحريته، وأن هذا الاستقلال لا يتحقق إلا عن طريق قبول الإنسان الخضوع والتسليم لإله واحد فقط، لأن هذا الخضوع للواحد هو الضمان الوحيد لعدم خضوع الإنسان لأية قوة أخرى من تلك القوى التى تضافرت فى الماضى وتتضافر الآن على قهر الإنسان واستعباده بأشكال متفاوتة.

وهكذا حدد الدكتور هويدى الملامح الرئيسية للواقعية الإسلامية وأهم الركائز التى تقوم عليها، وهى الإيمان والتوازن والعقلانية والتحليل والنقد والشمول والتحرر الفكرى وحرية الفعل والموقف الخلقى، كما حدد الفكرة المحورية التى تقوم عليها الفلسفة القرآنية وهى التوحيد، كما حدد الوسائل العملية لتحقيق الوعى وتعميق الواقع فى جميع الاتجاهات دينياً، وسياسياً، وأخلاقياً، واجتماعياً استجابة لحاجة واقعنا الملحة للعلم والفهم والتأمل والتصحيح.